

تراث الإنسانية
NYROUF

الموسيقى الكبير

للفارابى

د. محمود احمد الحفنى



الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب



مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

الموسيقى الكبير

للفارابي

NYROUF

د. محمود أحمد الحفنى

NYROUF

الموسيقى الكبير الفارابي د. محمود أحمد الحفنى

أبو نصر الفارابي

٢٦٠ - ٣٣٠

اسمه أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي ، نسبة
الى مدينة « فاراب » من أعمال خراسان ، حيث ولد بها
وكان أبوه تركيا من قواد الجيش .

فلما شب كان شأنه شأن أولئك العباقرة ذوى
المواهب الذين تعلموا لغزهم نحن المعسرة ويجدون فى
الحكمة والعلوم غذاء لها ، فهاجر مسقط رأسه الى بغداد
حيث كان مهد الحضارة فى العصر العباسى .

وكان ينطق بعدة لغات ويجيد اللسان التركى .
فتعلم العربية وأتقنها غاية الاتقان حتى لم يكن يصرف
بأيضا بين ، ولما دخل بغداد كان بها أبو بشر متى بن
يونس الحكيم المشهور ، فأخذ عنه علم المنطق ثم رحل
الى مدينة حران وكان بها يوحنا بن حيلان الحكيم النصرانى .



مهرجان القراءة للجميع ٩٥

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

الجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعي والفنى
محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

فأنشد عنه طرعا من علم المنطق أيضا . ثم عاد الى بغداد
والتقطح الى قراءة كتب الفلسفة وتساؤل جميع كتب
« أرسطو » في المنطق ، وبرع في تفسير معانيها وأغراضه
فيها . حتى قيل ان كتاب « النفس » لأرسطو وجد مكتوبا
عليه بخط الفارابي : « اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة » .

ثم أقبل على العلوم الرياضية وعلوم الحكمة والفلسفة
ونظر في صناعة الطب وعلم منها الأمور الكلية غير أنه لم
يياثر جزئياتها ولم يحاول مباشرة أعمالها . وكان له من
معرفة باللغة اليونانية خير معين على استيعاب علوم
الحكمة والفلسفة والمنطق . وكانت أيضا معرفة باللغة
الفارسية مما جعله إماما في العلوم النظرية والموسيقى .
الى جانب معرفته باللغة العربية . وهي لغة الأدب والمدين
والطب . فكان فيلسوفا عالما حكيما . جدير بأن يلقب
بالعلم الثاني اكبر فلاسفة المسلمين .

ومع كل هذا . كان أبي النفس متواضعا متجنبيا عن
أمور الدنيا مقتنعا منها بما يقوم بأوده يسير سيرة المتقدمين
من الفلاسفة . فلما سئل مرة : من أعلم أنت أو أرسطو ؟
قال : « لو أدركته لكانت أكبر تلاميذه » . وكان فاضلا
تقيا ورعا . وله دعاء خاص به ذكره ابن أبي أصيبعة
المتوفى سنة ٦٦٨ هـ في كتابه : « عيون الأنباء في طبقات
الأطباء » . هذا نصه :

قال : « اللهم اني أسألك يا واجب الوجود وبيا علة

العلل يا قديما لم يزل أن تعاضني من الرزك . وأن تبجل
لي من الأمل ما ترشاه لي من عدل . اللهم امنحني ما اجتمع
من الخسائب وارزقني في أمور حسن العوالم تنجح
مقاصدي والمطالب يا اله المشرق والمغرب رب الجوار
الكنس السبع التي انجست عن الكون انجاس الأبر
من الفواعل عن مشيئته التي عمت فضاءاتها جميع الجرم
اللهم اليسرى حلل البهائم وكرامات الأنبياء وسعادة الأخيـ
ا وعلوم الحكماء وخشوع الأنبياء . اللهم انقذني من عالم
الشر والفتنة واجعلني من اخوان الصفاء واصحاب الوفاء
وسكان السعادة مع الصديقين والشهداء . أنت الله الذي
لا اله الا أنت علة الأشياء ونور الأرض والسماء . امنحني
فيضا من العقل الفعال يا ذا الجلال والإفضال . هذب
نفسى بانوار الحكمة وأوزعنى شكر ما أوليتنى به من نعمة .
أرني الحق حقا والهمنى اتباعه والباطل باطلا واحرمنى
اعتقاده واسمعه . هذب نفسى من طينة الهوى ! لك أنت
العلة الأولى :

يا علة الأشياء جميعا والذي
كانت به عن فيضه المتفجر
رب السموات الطباق ومركز
في وسطهن من الترى والأبحر
انى دعوتك مستجيبرا مذنبيا
فاغفر خطيئتي مذنب ومقصر

هذب بفيض منك رب الكل من
كدر الطبيعة والعناصر عنصرى

اللهم رب الأشخاص العلوية والأجرام الفلكية
والأرواح السساوية . غلبت على عبدك الشهوة البشرية
وحسب الشهوات والدنيا الدنية فاجعل عصمتك مجنى من
التخليط وتقواك حصنى من التفريط انك بكل شئ محيط .
اللهم اغذى من أسر الطبايع الأربع وانقلنى الى جنابك
الأوسع وجوارك الأرفع . اللهم اجعل الكفاية سببا لتطهير
منهم الملائق التى بينى وبين الأجسام الترابية والصوم
الكونية واجعل الحكمة سببا لا يجاد نفس بالتوالم الالهية
والأرواح السماوية . اللهم طهر بروح القدس الشريفة
نفسى وأثر بالحكمة الباقية على وحس واجعل الملائكة بدلا
من عالم الطبيعة ائسى . اللهم الهنى الهدى وثبت ايمانى
بالتقوى وبلغنى الى نفس حب الدنيا . اللهم قو ذاتى على
قهر الشهوات الغانية والحق نفسى بمنزلة النفوس الباقية
واجعلها من جملة الجواهر الشريفة العاقبة فى جنات عالية .
سيماحك اللهم سابق الموجدات التى تنطق بالسنة الحال
واقبال انك المظهر كل شئ عنها ما هو مستحق بالحكمة
واجعل الوجود فيها بالقياس الى عدمها نعمة ورحمة .
فالذوات فيها والأعراض مستحقة بالانك شاكرة فضائل
نعمائك . سيماحك اللهم وتعاليت . انك الله الاله المفرد
الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوة أحد . اللهم
انك قد مسحت نفسى فى سجن من العناصر الأربعة

وكلت باغتراسها اسديعا من الشهوات . اللهم جسد لها
بالحكمة . وتطهق عليها بالرحمة التى هى بك اليق
والكرم الفائض الذى هو منك أجدر وأخلق . وأمن عليها
بالتوبة العاتقة بها الى عالمها الساوى . وعجل لها
بالقوة الى مقامها القمى وأطلع على ظلماتها شمساً من
العقل الفاعل وأيسر عنها ظلمات الجبل والضلال واجعل
ما قواها بالقوة كامنا بالفعل وأخرجها من ظلمات الجبل
الى نور الحكمة وضياء العقل . الله ول الذين آمنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور . اللهم أر نفسى صور الغيوب
الصالحة فى منامها وبديها من الاضغاث برؤيا الخيرات
والبشرى الصادقة فى أحلامها وطهرها من الأوساخ التى
ثارت بها عن محسوساتها وأوهامها وأيسر عنها كدر
الطبيعة وأزلها فى عالم النفوس المنزلة الرفيعة . الله
الذى عدانى وكلائى وآواى .

هذا الدعاء الطويل قد يكشف لنا جانب التقوى
والانسانية فى نفس هذا الفيلسوف العظيم وينبى عن
روحه النبيلة الطاهرة . التى تدعو الله أن يزداد علما وعز
عن أكابر العلماء .

قال ابن ابي أصيبعة : « حدثنى عمى رشيد الدين
أبو الحسن على بن خليفة رحمه الله . أن الفارابى توفى
عند سيف الفولة بن حيدان فى رجب سنة ٣٣٩ هـ .
وكان أخذ الصناعة عن يوحنا بن جلال ببغداد فى أيام

المقتدر . وكان في زمانه أبو البشر متى بن يونا ، وكان
أبي من أبي نصر وأبو نصر أحد ذهنا وأعذب كلاما . وتعلم
أبو البشر متى من إبراهيم المروزي . وتوفي أبو البشر في
خلافة الرازي فيها بين سنة ٣٢٣ الى سنة ٣٢٩ هـ . وكان
يوحنا بن حيان وإبراهيم المروزي قد تعلموا جميعا من
وجل من أهل مرو .

وقال القاضي مساعد بن أحمد بن ساعد في كتاب
التعريف بطبقات الأمم : « ان الفارابي أخذ صناعة المنطق
عن يوحنا بن حيان المتوفي بمدينة السلام في أيام المقتدر .
فلم جميع أهل الاسلام فيها وأبو عليم في التحقيق بها
فشرح لمسامضها وكشف سرها وقرب تساولها وجعل
ما يحتاج اليه منها في كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة
منبهة على ما أغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل وأخاه
التعاليم وأوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمس وأفاد
وجوه الانتفاع بها وعرف طرق استعمالها وكيف تصرف
صورة القياس في كل مادة منها فجات كتبه في ذلك
الغاية الكافية والنهاية الفاضلة .

وله كتاب في أغراض فلسفة أفلاطون وأرسطو
طاليس يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقق
بغنون الحكمة وهو أكبر عون على تعلم طريق النظر وتعرف
وجه الطلب المطلب فيه على أسرار العلوم وتمازجها علما علما
ويبرز كيف التدرج من بعضها الى بعض شيئا شيئا ثم بدأ
بفلسفة أفلاطون فعرف بقرضه منها وسعى تأليفه فيها .

ثم أتبع ذلك بفلسفة أرسطو طاليس فقدم له مقسمة جليلة
عرف فيها بتدرجه الى فلسفته ثم بدأ بوصف أغراضه في
تأليفه المنطقية والطبيعية كتابا كتابا . حتى انتهى به
القول في النسخة الواصلة اليها الى (أول العلم الالهي
والاستدلال بالعلم الطبيعي عليه) . ولا أعلم كتابا أجلى
على طالب الفلسفة منه ، فإنه يعرف بالمعاني المشتركة لجميع
العلوم والمعاني المختصة بعلم علم منها . ولا سبيل الى فهم
معاني (قاطيقوراس) وكيف هي الاوائل الموضوعات لجميع
العلوم الالهية .

ثم له بعد هذا في العلم الالهي وفي العلم المدني
كتابان لا نظير لهما أحدهما المعروف بالسياسة المدنية
والآخر المعروف بالسيرة الفاضلة . عُرف فيهما بجعل
عظيمة من العلم الالهي على مذهب أرسطوطاليس في مبادئ
السنة الروحانية وكيف عنها الجواهر الجسمانية على
ما هي عليه من النظام واتصال الحكمة . وعرف فيها
بمراتب الانسان وقواه النفسانية ، وفرق بين الروح
والفلسفة ، ووصف اصناف المثل الفاضلة وغير الفاضلة .

ثم له بعد ذلك كتاب شريف في احكام العلوم
والتعريف بأغراضها لم يسبق ولا ذهب أحد مذهبه فيه .
لا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاعتماد به وتقديم النظر
فيه .

وقد ظل « الفارابي » معظم أيامه يبتذل مكيا على
الاشتغال بعلوم الفلسفة والمنطق . ووضع بها معظم كتبه

والصانيفه . ثم سافر الى دمشق . ثم الى مصر . وقد ذكر
في كتابه المرسوم بالسياسة المدنية . انه بدأ بتأليفه في
بغداد واكمله بمصر . ثم عاد الى دمشق واتمام عند
سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن سيدان
التغلبى . واكرمه اكراما كثيرا وعظمت منزلته عنده وكان
مؤثرا له .

قال ابن أبي أصيبعة : « نقلت من كلام لأبي نصر
الفارابى . في معنى اسم الفلسفة . قال : اسم الفلسفة
يونانى . وهو دخيل على العربية . ومعناه ايتار الحكمة .
وهو في لسانهم مركب من « فيلا » ومعناها الايتار ومن
« سوفيا » ومعناها الحكمة . والفيلسوف هو المؤثر للحكمة .
والمؤثر للحكمة عندهم هو الذى يجعل المؤكد من حياته
وغرضه من غير الحكمة » .

وللفارابى . مؤلفات عديدة اكرها في المنطق . شرح
فيها جميع كتب أرسطو . وهي :

- كتاب القياس . ويسمى اناطوطيقا الاولى .
- كتاب البرهان . ويسمى اناطوطيقا الثانية .
- كتاب الجدول .
- كتاب العبارة .
- كتاب المقولات العشره .
- كتاب المغالطة .
- كتاب الخطابة .

- كتاب السماع الطبيعى .
- كتاب السمع والعالم .
- كتاب الآثار العلوية .

وله شرح كتاب « المجسطى » في علم الهيئة
لبطليموس القبطى . وشرح كتاب « ايساغوجى »
لغرفوريوس في المنطق . وشرح المقالين الأولى والخامسة
من كتاب اقليدس في الهندسة . وجوامع كتاب التواميس
لأفلاطون .

وله أيضا كتب كثيرة في المنطق والفلسفة والعلوم
الطبيعية نذكر منها :

- كتاب المختصر في المنطق .
- كتاب الألفاظ والحروف .
- كتاب السياسة المدنية .
- كتاب الخطابة . وهو مشروح مجلدا .
- كتاب المدخل الى علم المنطق .
- كتاب المقائيس .
- كتاب مختصر الفلسفة .
- وكلام في معنى الفلسفة .
- كتاب في المدخل الى الهندسة الوهية .
- وكلام في الشعر والقوافى .
- وكلام في حركة الفلك .
- مقالة في صناعة الكسبية .

وكلام في الجوهر .

كتاب في الرد على جالينوس فيما تناوله من كلام
أرسطو .

كتاب في الرد على الرازي في العلم الالهي .

كتاب في احصاء العلوم وترتيبها .

كتاب المدينة الفاضلة . والمدينة الجاهلة . والمدينة
الفاسقة . والمدينة المتبدلة . والمدينة الضالة .

ومن مؤلفات الفارابي في صناعة الموسيقى :

كتاب الموسيقى الكبير . ألفه للوزير أبي جعفر
المختار محمد بن القاسم الكرخي .

كتاب في احصاء الايقاع .

كتاب في النقلة مضافا الى الايقاع .

وكلام في الموسيقى .

وأما الكتب التي طبعت أو ترجمت من كتب
الفارابي ، فهي :

« آثار أهل المدينة الفاضلة » . عن به « ديتريش »
الألماني وطبع بلندن سنة ١٨٩٥ م . وطبع بمصر سنة
١٣٢٤ هـ .

« الرسالة الفارابية » وتليها مقدمة وملاحظات باللغة
الألمانية . عن بها « ديتريش » وطبع بلندن سنة ١٨٩٠ م
« كتاب المجهوع » . طبع بمصر سنة ١٣٢٥ هـ .

« مبادئ الفلسفة القديمة » . طبع بمصر سنة
١٣٢٨ هـ .

« كتاب الموسيقى الكبير » . طبع منه نبذة بعناية
الأستاذ « لاند » . في أعمال المؤتمر الشرقي السادس
بلندن سنة ١٨٨٤ م . وترجم الكتاب بأكمله الى اللغة
الفرنسية بعناية البارون « دي لنجيه » في جزئين طهر
أولهما سنة ١٩٣٠ قبل وفاته بنونس سنة ١٩٣٢ .
وطهر الجزء الثاني سنة ١٩٣٥ بعد وفاته .

كتاب « احصاء العلوم » . عن به المستشرق دكتور
هنري فارمر . . وعلق عليه وطبع منه الجزء الخاص
بعلم الموسيقى في لندن سنة ١٩٣٥ م . وكذلك عن
بشره الدكتور عثمان أمين .

وأكثر الكتب التي ألفها الفارابي . اما أنها فقدت
أو أنها لا تزال في الخزائن والمكتبات . والمعروف منها الى
الآن قليل . اذا قيس بمجموع ما كتبه في شتى العلوم
والفنون .

ولم يبق من كتب الفارابي في صناعة الموسيقى سوى
كتاب واحد . هو المسمى « كتاب الموسيقى الكبير » .
الذي يعد بحق أعظم مؤلف في علم الموسيقى وضعه العرب
منذ فجر الاسلام الى وقتنا هذا .

وعلى الرغم من شهرة الفارابي في الفلسفة والمنطق
والعلوم الا أن شهرته اقتربت أكثر بصناعة الموسيقى

والعلم بها ، ولعل عند الشهرة التي تميز بها هذا
الفيلسوف في الموسيقى ، وعلى الأخص في الأوساط التي
تصنع بهذه الصناعة ، وقد ترجع إلى كتابه الذي اشتهر
باسم « كتاب الموسيقى الكبير » ، فقد حكى الناس عنه
أساطير اقترنت بآله أول من اخترع العود ، وأنه اخترع
آلة كان إذا حرك أوتارها بطرائق معلومة عنده أحدثت نغما
لا يتمالك الإنسان عند سماعه من الضحك .

ولعل الذين أشاعوا عنه هذه الطرائف ربما نظروا
في كتابه هذا ، عن آلة قديمة وصفها « الفارابي » بأنها
مستطيلة الشكل توضع عليها مسطرة مقسمة للنحاس
الأبعاد الصوتية في أجناسها المختلفة ، ونحن لم نجد
ما يدعونا إلى تصديق هذه الروايات عنه .

غير أن الذي لا شك فيه أن « الفارابي » كان
يزاول هذه الصناعة بالفعل ، فكان ذلك أمكن له في
تعريف مبادئ هذا العلم والأعمال بجميع أنواعه ، فكان
يتنقل في موضوعاته انتقال خبير عالم بالصناعة العالية
فجاء كتابه في علم الموسيقى شاملا كاملا .

وذكر ابن جليل في تاريخ الأطباء أن أبنا نصر
الفارابي كان في شبابه يضرب بالعود ويغني ، فلما التحى
وجه قال : « كل غناء يخرج من بين شارب ولحية
لا يستغرف » فنزع عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب
والفلسفة فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ، فبلغ

من معرفة غوارها الغاية واعتقد الصحيح منها وعلل السقيم
منها ، وألف في الطب كتابا كثيرة :

وقال ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ :

« نقلت من خط بعض المشايخ أن أبنا نصر الفارابي
صنع آلة غريبة يسمح منها العايب بديعة يصرك بها
الانفعالات ، ويذكر أن سرب قراءته الحكمة أن رجلا أودع
عنده جملة من كتب أرسطو طاليس ، فاتفق أن نظر فيها

فوافقت منه قبولا وتحرك إلى قراءتها ولم يزل إلى أن أتقن
فهيها وصار فيلسوفا بالحقيقة ، وقال : أن أبنا نصر
سافر إلى مصر سنة ٣٣٨ هـ ورجع إلى دمشق وتولى بها
في رجب سنة ٣٣٩ هـ عند سيف الدولة على بن حمدان
في خلافة الراضي ، وصلى عليه سيف الدولة في خمسة
عشر رجلا من خاصته ، ويذكر أنه لم يكن يتناول من
جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم
يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه ، ولم يكن معنيا
ببيت ولا منزل ولا مكسب ، ويذكر أنه كان في أول أمره
قاضيا فلما شعر بالمعارف ثبت ذلك وأقبل بكلية على
تعلمها ، ولم يسكن إلى نحو من الدنيا البتة ، ويذكر أنه
كان يخرج إلى الحراس بالليل من منزله يستضيء
بمصباحهم فيما يقرؤه ، وكان في علم صناعة الموسيقى
وعلمها قد وصل إلى غاياتها وأتقنها إتقاناً لا مزيد عليه .»

واذ نحن نطرقنا في حياة هذا الفيلسوف العظيم الى الجانب الذي اشتهر به أكثر الامر في صناعة الموسيقى ، والى ذكر كتابه في هذه الصناعة ، الذي أحدث له هذه الشهرة البالغة رغم تفوقه في العلوم والفلسفة ، فلنذكر طرفا عن هذا الكتاب : « كتاب الموسيقى الكبير » للفارابي :

يمتد هذا الكتاب من شوامخ الكتب العربية في الموسيقى ، ثم يسبقه اليه احد قبله ولم يزد عليه من تأخر من العرب القدماء ، فقد جاء هذا المؤلف شاملا مستوفيا لجميع أنحاء الصناعة النظرية والعملية ، وهو مخطوط ضخم له شهرة عالمية في الأوساط التي تعنى بدراسة الموسيقى العربية نظرا لغزارة مادته وقوة أسلوبه والمذهب المنفرد الذي سلكه المؤلف في تصنيفه .

وقد ظل هذا المخطوط في عداد المخطوطات القديمة الى وقتنا هذا بسبب ضخامته وعمق معانيه وتعذر قراءته وعدم توافر النسخ الكاملة منه في المكتبات العامة ، وأيضا بسببه أن القيام بتحقيقه على الأصول فقط قد يكون مجهولا كبيرا قليل الفائدة ، مالم يشرح غوامض القول فيه الأمر الذي يستلزم خبرة يمثل هذه البحوث بصفة خاصة مع دداية بالصناعة العملية ، فضلا عن أنه يتطلب تفرغا تاما وقتا طويلا ، ولهذه الأسباب مجتمعة اقتصر المهتمون بهذا المؤلف الى الرجوع اليه عند الحاجة أو الى اقتباس مقتطفات منه في المواضيع المناسبة لهم .

غير أن عنساية وزارة الثقافة والأرشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة في نشر واحياء التراث العربي في سائر العلوم والفنون والآداب ، كانت ذا أثر واضح في اقبال المتخصصين على دراسة مختلف المخطوطات العربية وتحقيقها وشرحها والتعليق عليها ، فكان اخراج كتاب « الموسيقى الكبير » دليلا واضحا على تلك العناية القصوى .

وقد أتم تحقيق هذا المخطوط الضخم مع شرحه والتعليق عليه الأستاذ « غطاس عبد الملك خنسيه » العضو الفنى بمعهد الموسيقى العربية بالقاهرة ، وراجعه وقام بتصديره كاتب هذه المخطوط ، وهو تحت الطبع بعناية وزارة الثقافة والأرشاد القومي .

والناظر في هذا الكتاب يدع في أنه كان ملجأ به كتاب آخر ، وهذا واضح من قول المؤلف في افتتاح الكتاب : « ... رأينا أن نجعل ما نؤلفه في كتابين ، أولهما ، انتخبناه بالأمور النافعة في الوقوف على مبادئ هذه العلم وأزديناه بالاشياء الثابتة لأوائل هذه الصناعة واستوفينا فيه أجزاءها على التمام وسلكنا فيه المسلك الذي يفضنا نحن من غير أن نخلط به مذهبا آخر سواه ، والكتاب الثانى أثبتنا فيه ما تلاقى بيننا من آراء المشهورين من الساطرين في هذه الصناعة وشرحنا ما لمحض من أقوالهم ونهضنا فيه رأى واحد واحد من عرفنا له رأيا أثبتته في كتاب ، وبيننا مقدار ما بلغه كل واحد من أولئك

في تحصيل ما في هذا العلم وأصله الخلل على من وقع
في رأيه منهم . . .

غير أنه من المؤلف حقاً أن هذا الكتاب الثاني الذي
أشار إليه المؤلف في مقدمة كتابه الأول . لم يثر عليه
والأرجح أنه مفقود . وربما يكون عند بعض الناس في
الكتيبات الخاصة . ولذلك تناول التحقيق الكتاب الأول
بجزئيه .

والكتاب الأول . يشمل على جزئين :

جزء في المدخل إلى صناعة الموسيقى . والثاني في
الصناعة نفسها .

والقسم الذي في المدخل إلى الصناعة مقالتيان .
والقسم الذي في الصناعة نفسها . فقد قسمه المؤلف ثلاثة
فنون كل منها في مقالاتين :

أما المقالة الأولى من الجزء الأول في المدخل . فهي
بحث في أصل صناعة الموسيقى . تناول فيه أولاً حيثات
الصناعة في الإنسان . فجعلها مستقيماً إلهياً الهيئة
النظرية . والثانية الهيئة العملية . وهذه فقد قسمها إلى
قسمين . هيئة الأدب وهيئة الصيغة . ثم قارن بينهما أيهما
رئيسية الأخرى . وقد انتهى به القول على أن هيئة الصيغة
رئيسية هيئة الأدب .

ثم تناول أصناف الألحان وغاياتها . وهذه جعلها
ثلاثة أصناف :

الألحان المثلثة . وهي التي تكسب النفس لذة وأنى
مسيوع . دون أن يكون لها صنع آخر . في النفس .

الألحان المخيولة . وهي التي تقيس النفس مع ذلك
تخييلات وتوقع فيها تصورات أشياء وحالها في ذلك حال
التزويق والتماثيل المحسوسة بالبصر .
الألحان الانفعالية . وهي التي تخلصت عن الانفعالات
فهي إما مزينة لها أو منقصة منها .

ثم تطرق المؤلف إلى نشأة الألحان الغنائية في الإنسان
وهي غريزة طبيعية في طلب اللذة أو التخييل أو الانتقال .
وهذه هي غايات الألحان .

ثم تكلم عن نشأة الآلات الموسيقية . فقال إن الإنسان
صنعها لتكون الألحان بالأقاييل ذات المعاني أيها والد
مسيوعاً .

وفي نهاية هذه المقالة عرف هيئة العالم بالموسيقى
النظرية . وهي أنه ليس يطالب دائماً أن يكون صاحب
العلم النشوي على داية بالموسيقى العملية . فقد قال
أرسطو في هذا المعنى . إن كثيراً ممن يتماطى النظر في
الكتيبات لا يحسن بالجزئيات . لأن ذلك إنما يحتاج فيه إلى
قوة أخرى غير قوة العلم بالكتيبات .

أما المقالة الثانية . من المدخل . فهي بحث واف
لبادئ العلم بالصناعة .

فتكلم أولا ، عن الألحان التي يمكن أن تعد طبيعية
للإنسان ، ويعني بها الألحان التي عند الأمم الذين مساكنهم
وعيشهم على المجرى الطبيعي للإنسان ، وقد جعل الألحان
التي تعد غير طبيعية ، هي التي عند الأمم الذين مساكنهم
وعيشهم فيما على خط عرض ٤٥° جنوبا ، وفيما على خط
عرض ١٥° شمالا ، فهؤلاء ليست أحوالهم طبيعية بوجه
ما للإنسان .

وقال عن مناسبات النغم في الألحان ، ان الألحان
تلتزم عن صفتين من النغم : أحدهما بمنزلة السدى واللحمة
في التساب ، والآخر بمنزلة التزاويق والاستظهارات .
فالتي هي بمنزلة السدى واللحمة في التساب هي التي
بشيئة الأصول والمبادئ في الألحان ، والتي هي بمنزلة
التزاويق والاستظهارات هي النغم التي في تزييدات الألحان
لتكون كمالات للحس .

وقال : « وإذا تأملنا الألحان تأملا كثيرا وجدنا
فيها اقترانات للنغم وترتيبات لها ، وأعني بالاقترانات
اجتماع اثنين منها أو أكثر ، والترتيبات أن يقدم هذا في
السمع أو يؤخر هذا ، وفي الاقترانات ما هي كمالات
وطبيعية للاسماع ومنها ما ليس كذلك ، وفي ترتيباتها
ما هي كمالات أيضا وطبيعية ومنها ما ليس كذلك . »

وكمالات الاقتران والترتيب تنصور بطريق المناسبة
فان كمال المقترنات في الاقتران هو مثل ما يعرض للوني

الخمر والزجاج اذا اقترنا ، وكلون الثياقوت والذهب اذا
اقترنا ، واللازوردى والحمرة اذا اقترنا فلينسجم كمال
الاقتران اتفاق النغم وتآخيا ، وخلافه ، تنافر النغم
وتباينا ، وكما الترتيب يتبين أيضا في ألوان التزاويق
وفي الطعوم الواردة على الحس أولا فأولا ، وخلافه كذلك ،
ولنسجم ذلك ملازمة الترتيب ، وخلافه منافرة الترتيب .

ثم ذكر المؤلف مراتب النغم الطبيعية ، ووصف آلة
قدسية ، تسمى « الشاهرود » ، وكانت بعيدة المذهب الى
قوة الرابعة من النغمة الأثقل فيها ، وتكلم عن المتجانسات
من النغم ومناسباتها العديدة ونظائرها التي توجد لها
بالوجه غير الطبيعي وهو المذهب النظري المحجل في
تعريف مقادير النغم والأبعاد الصوتية .

واختتم الجزء الأول في المدخل بذكر الملامات العشرة
في الصنعة العملية ، وهي :

- ١ - الملامة التي في تزييدات الألحان وتشبيعاتها .
- ٢ - الملامة التي في أزمنة ما بين النغم ذي الإيقاع .
- ٣ - الملامة التي في المتجانسات ، وهي نغم
الجماعة العدة لأن يؤخذ منها اللحن .
- ٤ - الملامة التي في التناوع ، وهو الانتقال من
نوع الى الآخر ثم الاقرب .
- ٥ - الملامة التي في ترتيبات النغم ، وهو التقدير
والأخير بينهما عنه اجتماعاتها لتكميل اللحن .

٦ - الملامة التي هي اقترانات النغم ، وهي التي تعرف بالاتفاقات .

٧ - الملامة التي هي تهينة نغم الجساعة نوططة يستجده منها أولا فأولا .

٨ - الملامة التي هي ترتيب أبعاد المتجانسات التي بالأربع نغم ، وهي التسمية بالأجناس .

٩ - الملامة التي هي المطابقات ، وهي الانتقال بالصوت في طبقات ملائمة .

١٠ - الملامة التي هي النغم ذواتها من حيث هي طبيعية في الحدة والثقل .

ثم ذكر كيف تركيب الأبعاد بعضها إلى بعضها ، وكيف يفصل بعضها عن بعض ، وكيف تناسب بأعدادها البسيطة الدالة على بعضها .

أما الجزء الثاني من هذه الكتاب ، فقد قسمه المؤلف إلى ثلاثة فنون ، كل منها في مقالين .

الفن الأول : الأصول في صناعة الموسيقى ، ويسميه كتاب « الاستغنيات » .

الفن الثاني : في الآلات المشهورة والنغم المخسوسة منها وطرائق تسويات أوتارها .

الفن الثالث : في تأليف الألحان الجزئية .

فقد بدأها أولا بذكر كيفية حدوث الصوت والنغم في الأجسام وأسباب الحدة والثقل ، ثم عرف مقادير

الأبعاد الحادثة بقسمة الوتر والجمع بين الأبعاد وتبسيطها وقسمتها . وتمرض للقول في أي حدى النسبة مقابلا للنسبة الأثقل وأيهما مقابلا للنسبة الأحده ، ثم خرج بقوله أنه يرى أن الصناعة ليس يدخلها نقص ولا يلحق السامع كبير مضرة من أن يستعمل الإنسان في التعليم أعظم العددين في البعد لأيهما شاء من نفعيته ، غير أنه استعمل في كتابه هذا الأعداد العظمى مقابلة للنسبة الأثقل ، من قبل أن التعليم بهذا الوجه كان أسهل وأفضل .

وقول المؤلف هذا لا يقطع برأى ، غير أن المفروض أن النسبة الأثقل أصل للنسبة الأحده ، فواضح أن العدد الأصغر في النسبة دالا على النسبة الأثقل وبالعكس .

وختم هذه المقالة بكلام مفصل في أصناف الأجناس التي متوالياتها بالأربع نغم ، فجعلها رتبتي ، أجناس قوية وأخرى ليئة ، فالقوية ما كان فيها أعظم الأبعاد الثلاثة أصغر نسبة من مجموع العددين الأصغرين ، والليئة ما كان فيها أعظم الأبعاد الثلاثة أكبر نسبة من مجموع العددين الآخرين ، ثم رتب أنواع الجنس إلى منتظم متتالي ، ومنتظم غير متتالي ، وغير منتظم ، ثم بين كيف تؤخذ الأبعاد في كل من هذه الأجناس ورتبها في جداول .

أما المقالة الثانية من الفن الأول :

فقد تكلم فيها أولا عن تعريف الجساعات التي تتألف من أكثر من جنس واحد ، وكيفية ترتيب أطراف الأجناس بين حدى الجمع ، وقسم الجسوع صنفين منفصل ومتصل ،

وهذه منها جماعات تامة وجماعات ناقصة . وجماعات
متغيرة أو غير متغيرة .

ثم بين أسس النغم اللانحة في ترتيب الجملوع ،
وذكر الأسماء اليونانية القديمة التي كانت تقابلها ، ثم
عرف التشابه في الأبعاد ، ويعنى بالأبعاد التشابهية الأبعاد
التي تسبها متساوية وأطرافها على نسب مؤتلفة ، حتى
إذا سمعت متوالية كانت ملائمة . ثم ذكر أصناف التوزيع
والمحلف بين النغم والأبعاد والأجناس والجماعات واستوفاهما
جميعا . وانتقل بعد ذلك الى تعريف أصناف الانتقالات
الجزئية ، وهذه منها :

انتقالات على الاستقامة . وهي نقلة مستقيمة على
النوائ .

انتقالات يعطف الى المبدأ . وهي نقلة مستقيمة ثم
عود الى المبدأ بتوسط نغم انتقل عليها أو لم ينتقل .

انتقالات على استدارة . وهي العود الى المبدأ . ثم
التصير منه الى النوع النظير من الجانب الآخر .

انتقالات بإسراع . وهي العود الى غير المبدأ . من
النغم التي انتقل عليها أو لم ينتقل .

ثم تكلم عن أصناف الأزمنة في الإيقاع . وبين
الأجناس الأصول التي منها تؤخذ الإيقاعات ، فقسما الى
تسعين : موصل الإيقاع ، ومفصل ، فالإيقاع الموصل ،
هو المتوالي بأزمنة متساوية ويسمى الهزج ، والمفصل من
الإيقاع هو ما تتفاضل فيه الأزمنة .

ثم ختم المقالة الثانية بقول مجمل في الإيقاع . وذكر
وصف آلة قديمة مستطيلة الشكل قريبة الشكل من
« السنطير » ، عليها مسطرة مقسمة متحركة يمكن بواسطتها
استخراج جميع النغم التي يمكن أن تحدث من جميع
الأجناس المختلفة الأبعاد .

أما الفن الثالث ، فهو كتاب في الآلات المشهورة .
فالمقالة الأولى منه . بدأ فيها أولا بذكر آلة العود .
وذكر الجبع المستعمل في هذه الآلة . والمساتين التي
كانت تحدد مواضع النغم فيها . والنسوية المشهورة
لأوتارها . ونسويات أخرى لم تجربها العادة .

ثم تكلم عن الأغراض التي تلحق اتفاقات النغم في
الأجسام والآلات . ومنها ما يعرف في علم الصوت بالتردد
الاضطراري ، وبين كيف أن بعض النغم التي هي في
ذواتها متفقة قد تسمح في بعض الآلات غير متفقة .
أو بالعكس ، وكيف أن حاسة السمع قد يختلط عليها أمر
الاتفاقات ، متى فاجأته نغمة حادة ثم تليها أخرى تبلغ من
الثقل أقصاه . فلا يحس بها ، أو إذا فاجأته نغمة ثقيلة
ثم تليها أخرى تبلغ من الحدة أقصاها ولما يتسكن بعده عن
الأولى فلا يحس بها .

ثم ذكر كيف يبلغ في آلة العود تمام الجبع . فزاد
فيه وترا خامسا كان يسمى « الحاد » . فإذا سميت هذه
الآلة نسوية طبيعية بأن يكون بين كل وترين بعد أربع

تخيمات تحده النسبة ٣ الى ٤ فان النغمة التي تسمع من
دستان ينهر العود هي تمام الجص الكامل بيمين بالكل.
أحدنا من مطلق الوتر الاثقل حسوتا الى سبابة الوتر
الثالث . والثاني من سبابة الوتر الثالث الى ينهر الوتر
الخامس .

والجمالة الثانية من هذا الفن . فقد جعلها في القول
على آلة الطنبور وأصناف المزمار وآلة الرباب . والمعازف
التي تسمع منها الأوتار مطلقا .

بدأ في هذا المقالة بذكر صنفين من الطنبور أحدهما
الطنبور البغدادي . والآخر يعرف بالطنبور الخراساني .
وهذا أعظم هيئة وأكثر كمالا من الأول . وذكر أن الأول
من هذين كانت تستعمل فيه القساتين التي كانت تسمع
في القديم منذ الجاهلية . وهي كانت ترتب فيها الأبعاد
ترتيبا متساوي المسافات . وصحح مواقع القساتين وذكر
استعمال المحدثين لهذه الآلة في ذلك الوقت ١٠

ثم تلت هذا بالطنبور الخراساني . فذكر النغم
المستعملة فيه . الراتبة والتبديلة . وبين كيفية استخراجها
في هذه الآلة . وعدد تنويعاتها المشهورة وغير المشهورة .
والنغم الموجودة في كل تنوية . مع ما يقابلها من النغم
الوجودة في آلة العود .

وانتقل بعد ذلك الى القول عن أصناف المزمار .
وكيفية حدوث النغم فيها ومناسباتها مع أطوال المزمار
واقطارها وتقوينا .

وقد تبين من قوله . أن المزمار البلدي أو التركي
المحروف في وقتنا هذا يشبه المزمار الذي كان يسمى قديما
بالمرتاي . أو هو على وجه التحديد .

ثم تكلم عن آلة الرباب . وبين أماكن النغم فيها
ونسبها وتنويعات تلك الآلة . ومناسبات النغم فيها مع
نظائرهما في آلة العود .

ثم ختم المقالة . بذكر المعازف . وهي الآلات التي
تستعمل فيها الأوتار مطلقا . ببيان كل نغمة . وبين كيف
أن المزاويل لهذه الآلات أكثر احساسا بالنغم من أولئك
الذين يستعملون الآلات التي تؤخذ فيها النغم بقصة
أوتارها كالطنبور والعود . وبين الطريق الصحيح الذي
يجب أن يسلك فيه لتسمية نغم الأوتار المطلقا . والطريق
الذي يوجد فيه بعض التسامح وهو ما يستعمله المزاويلون
عادة لهذه الآلات . وذكر أن الجنس المسمى « ذا المدين » .
يمكن أن يرتب نغمة أسهل في هذه الآلات . عن الأجناس
الأخرى التي تتفاضل فيها أبعادها الثلاثة حيث تكون هذه
أكثر حاجة الى التأمل من تلك التي يتساوى فيها بعدان .
ثم ختم هذه المقالة بقول مجمل في الآلات التي يمكن
أن يتم بها الأمر العملي أو العلمي . أو الأمرين جردا .

أما الفن الثالث . فهو في تأليف الألحان الجزئية .
فالمقالة الأولى . من هذا الفن . في صناعة الألحان
الحادثة عن النغم باطلاق . فأوضح أولا جداول تحتل

على الأعداد الكدالة على ترتيب النغم في الأحاسيس جميعا متى
وتب كل منها في جميع تام منفصل .

ثم عدد الانتقالات ونغم المبادئ في الألحان . وجعل
للانتقالات بحلولا أوضح فيه أمثلة لجميع أصنافها .

ثم تكلم عن أئمة الإيقاع من المبدأ . وكيفية
استخراج أصناف الأئمة الأقل عن هذا المبدأ الأعظم .
وانا نلح في قوله هذا أن ما يستعمله المحضون في وقتنا
هذا إنما هو بيمينه ما ذكره « الفارابي » في قوله عن الأئمة
الأقل وأصنافها وأصنافها وأمثالها .

والقالة الثانية . من هذا الفن . فقد جعلها عن
الصنف الثاني من الألحان وهو ما يحدث بالتصويبات
الانسانية .

تكلم أولا عن الأعراض التي تلحق النغم الانسانية
وفصولها . وما هو خاص بها دون سائر الحيوان والأجسام
التي تغطي النغم . وجعلها قسمين . فصول الأصوات
بالكيفية وفصولها بالكيفية .

فالتى هي بالكيفية تختص بالحدة والنقل . وفيما عدا
هذه فهي فصول بالكيفية . وبعض هذه تختص بالنغم
الانسانية وحدها . وبعضها يضم جميع الأجسام ذات
النغم .

ثم أوضح عملية الحنجرة في الانسان . بسلوك الهواء
في الحلق والفتحة الرافقة لها . وذكر التسميات التي

تلحق كليات النغم الانسانية . وبعض الانفصالات التي
تصنيف على الأصوات كليات تختص بها .

ثم ذكر فصول الأصوات من الحروف العربية .
وبين المصوتات منها وغير المصوت . وبين امتزاج المصوتات
المتتمة الطويلة المرفوعة منها والمنخفضة والمتوسط بين
حينين . وعدد أصناف الأقاويل الموزونة . وأجزاءها
وبسيط الوزن منها والمركب الوزن . وتام الأجزاء منها
وغير التام . وأول مراتب التام في كل .

ثم تكلم عن كيفية عمل اللحن عن نغم مؤلفة . وكيف
تقرن حروف الأقاويل بالنغم . وكيف توزع أجزاء الأقاويل .
وأوضح ما هي الألحان المبسوطة والنغم والألحان الفارغة النغم .
وكيف صنعت كل منهما . وكيف صنعت لحن مخلوط
منهما .

وقسم الألحان الى قسمين شريها بأقسام الأقاويل .
فبما ما هي مفصلة ومنها ما هي غير مفصلة . وغير المفصلة
هي التي تجرى على جنس إيقاع موزون . وانما يمكن أن
تؤخذ على إيقاع موصل كيفما اتفق .

ثم بين أصناف الألحان المفصلة وفصولها العظمى
والوسطى والصغرى . وأصطحاب الإيقاعات بهذه الفصول
وما يلحقها .

ثم تكلم عن مبادئ الألحان واستهلالاتها ونهاياتها .

كما كان العرب يستعملونها ، ثم انتهى بعد ذلك الى الأمور
التي تكمل الألحان فتصير أكثر بهاءً وألقاً في السماع .

وختم هذه المقالة الأخيرة بالموضوعات التي تخص
هذه الصناعة من الأقاويل الشعرية وأصنافها ، وكيف
تستعمل من قبل أن صناعة الشعر هي رئيسة الهيئة
الموسيقية ، وما جردوي هذه الصناعة ومنسلسها في
الإنسانية .

ونحن ، لننقل هنا الجزء الأخير من هذه المقالة كما
كتبه « الفارابي » ، قال :

« ... ولما كانت الأفعال الإنسانية كلها ، إنما
يطلب بها السعادة القصوى ، وكان يلزم أن تكون ملذة
دائمة أبداً ، أو ملذة من غير أن يلحق الإنسان منها أذى
أو كلال أو تعب أصلاً ، وكانت بهذا الأمر أشبه الأشياء
بالراحة ، وأفعالها التي بها كمالها أشبه الأشياء بالأفعال
الكاثرة في الراحات من أصناف اللعب ، ظن الجمهور
كذلك في الأشياء المتعبة أنها شقاوات ، وبالراحة وبأصناف
اللعب أنها سعادات ، إذ كانت أفعالها تصاكى أو تشابه
السعادة التي هي بالحقيقة شقاوة ، وظن بها أيضاً أنها
هي الغاية القصوى ، فنجوا بأفعالهم كلها نحوها وطلبوا
تنبيهها بكثرة وتفرقتها وبسوامها ، وجازوا بها مقادير
المراتب ، فصارت بحسب استعمالهم لها أشياء باطلة
لا جردوي لها في الإنسانية ، بل صارت صادقة عن الأمور

التي بها ينال السعادة بالحقيقة ، إذ كانوا إنما يستعملونها
على هذه البهجة .

ولذلك صاروا يطلبون من الأقاويل الشعرية
ما شأنها أن تستعمل في اللعب ، وكذلك من الألحان التي
تقرن بها ، فانهم إنما يطلبون منها ما كان شأنها أن تزين
أو تصاكى أو تصين على تنفيذ المقصود بهذا الصنف من
الأقاويل الشعرية فقط ، فبال من له القوة على صناعة
الألحان الى صناعة أمثال هذه وحدها ، لظن ، إذ لم يعلم
أن في أكثر الأمر من الألحان غير هذه ، أن المقصود بها
كلها هذا المقصود ، فكانت لذلك أن تزدل وتخص عند
من مقصده التخييل منهم ، وقاربت أن تأتي كثير من
الشرائع ناهية عنها .

ولما كان ما يستعمل من الألحان في زماننا هذا ،
وفي بلداننا هذه ، هي التي كانت أن تزدل عند أهل الحيرة
وكان ما يعتقد في جملتها إنما يعتقد على حالها التي بها
تستعمل عند الجمهور في زماننا هذا ، صار تبييننا
للمقصود الخاص بجملة الألحان وكيف مدخلها في
الإنسانية يحتاج فيه الى أقاويل كثيرة ، إذ كنا إنما نبين
آراء واعتقادات غريبة عنهم ، ومع ذلك فإن كثيراً ما يتبين
من أحوالها عن تلك الأقاويل ، مسيجرى للنسب الذي
بيناه مجرى ما يقال قولاً فقط ، من غير أن يطابق الموجود
لدينا في زماننا ، فيضرب قبول كثير من السامعين لما يتبين

لهم من ذلك قبولاً أضعف ، أو شبيهاً بقبول ما ليس له
غناء .

ولذلك ، فلنقتصر من التنبيه على هذه الأشياء من
أمور الألبان على هذا المقدار فقط ، ومتى أثر الانسنان
الوقوف على حقيقة الأمر من ذلك في غاية أفعال هذه الهيئة
وجندواها ، فينبغي أن يعلم أن أفعال هذه الصناعة تابعة
للأقوال الشعرية ، كما قلنا مراراً ، وكما قد بيناه نحن
في مواضع أخرى .

ومتى تبين ، ما منافع الأقوال الشعرية في الأمور
الإنسانية ، وعلى كم جهة هي ، تبين حينئذ منافع أفعال
هذه الصناعة وظهرت جهاتها ، ويحتاج في علم ذلك إلى
معرفة أصناف الأقوال الشعرية ، ومن أي شيء تلتزم ،
وكيف صنعتها ، ثم إلى معرفة غناء صنف صنف منها في
الأمور الإنسانية ، وهذه ليس يمكن أن يوقف عليها من
هذه الصناعة ، بل من صناعات أخرى

هذا ما يقوله « الفارابي » ، في أمر الألبان وغاياتها
وجندواها في الإنسانية ، وبه نختم نحن مقالنا عن هذا
الفيلسوف الحكيم العالم .

مطبعة النهضة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع ١٩٩٠ / ٢٩٩٦
١٩٩٠ / ٢٩٩٦
١٩٩٠ / ٢٩٩٦

١٩٩٠ / ٢٩٩٦

NYROUF